مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية ISSN: 1112-4628
مجلد : 12 عدد 25 السنة : 2020

الانسجام التداولي في النص القرآني من منظور لسانيات النص
- دراسة العلاقة بين النص والسياق من خلال نماذج من تفسير البحر المحيط-

الدكتورة : يعقوب الزهرة
جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)
yagoub48@hotmail.com

تاريخ الوصول :2019/04/21 القبول:28/05/ 2019النشر على الخط:.....
.....Received :.....Accepted :.....Published online :.....

الملخص:

لقد اهتم أبو حيان الأندلسي بالعلاقة بين النص والسياق ،اما داخل النص،والتي تتحدد في السبك والحبك والعلاقة التناصية بين آياته ،وإما من خارج النص بالاستعانة بأسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ،كما أنّه اهتم بالمتلقي ومدى فاعليته مع النص ورؤيته التأويلية من خلال المقصدية والإعلامية والقبولية.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، ،السياق ،المتلقي، التأويل.

Summary:

Abu Haytwo has cared about the relationship between the text and the context, either within the text, which is determined in the moulding, the love and the interrelations between its own, or from out of the text by using the grounds of descent, Royal, civil, photocopier and copied, and he cared about the recipient and its effectiveness with the text and his subsequent vision of During the course of the media and the information and the Qbbouleh.

Keywords: Quranic text, context, , The interpretation ,The recipient.

مقدمة:

ارتكز أبو حيان في تفسيره على استحضار أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، فالثلاثة الأولى تندرج تحت مسمى السياق الخارجي ، والأخير يندرج ضمن السياق الداخلي للنص.وباعتبار أنّ السياق يُعد أحد المفاهيم التابعة للمنهج التداولي ،وأبرز المعايير التي شكلت في نظر الباحثين معالم لسانيات النص .وكذا العلاقة التفاعلية بين النص والسياق أي الكيفية التي يتحقق بها الانسجام التداولي .وعليه ، لابدّ أن تقف الدراسة عند تحديد مصطلحات التالية:الانسجام التداولي ،السياق ،لسانيات النص، ومن ثمّ تحديد رؤية أبي حيان في تعامله مع السياق والنص القرآني من خلال تفسير البحر المحيط.

أ-مفهوم الانسجام التداولي:

1-مفهوم الانسجام : في الحصر القاموسي للفظ الانسجام،يفيد ابن منظور في كتابه(لسان العرب) ،مادة (س،ج،م): "سَجَمَتِ العين الدمع والسحابة الماء تَسْجِمُه وتَسْجُمُه سَجْماً و سُجُومًا وسَجَماناً وهو قَطَران الدمع وسَيَلانه قليلاً كان أو كثيرا ...ودمع مَسْجوم سَجَمَتْهُ العين سَجْمًا وقد أَسْجَمَه وسَجَّمَه والسَّجَمُ الدمع ... وانْسَجَمَ المَاءُ والدمع فهو مُنْسَجِمٌ اذا انْسَجَمَ أي انْصَبَّ ...سَجَمَ العَيْنُ والدمعُ الماءَ يَسْجُمُ سُجُومًا وسِجَامًا اذا سال وانْسَجَمَ "[1].والظاهر أن المادة اللغوية للفظ الانسجام تنحصر في القطران والصَبُّ والسّيلان .

وفي الاصطلاح ،يعد مصطلح الانسجام "المفهوم النواة في تعريف النص "[2] ،يهتم بـ "الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص "[3].أي "يهتم بالمضمون الدلالي في النص وطرق الترابط الدلالية بين أفكار النص من جهة، وبينها وبين معرفة العالم من جهة أخرى "[4]. وقد وقف دلايسلار ودي بيوجراند عند مفهومه وجعله ثاني المعايير التي من شأنها أن تجعل من أي حدث تواصلي نصا، وتحقق بذلك النصية من خلال تحديد العلاقات الدلالية والتداولية التي

(1)-ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم.لسان العرب.دار المعارف،القاهرة – مصر،م3،ج17،ص:1947.

(2)-العبد، محمد . النص والخطاب والاتصال. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى؛ 1426هـ-2005م،ص: 90.

(3)-عزام،محمد.النص الغائب- تجليات التناص في الشعر العربي-.منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق - سوريا،2001م،ص:49.

(4)-جمعان، عبد الكريم. مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية. النادي الأدبي الثقافي، مجلة علامات، المجلد 16، جمادى الأولى1428هـ، 2007م، ج61، ص: 210.

تساهم في الربط المعنوي لأجزاء النص، والتي من أجلها تتحقق الاستمرارية المعنوية في النص كبنية كبرى.

وقد ارتبط مفهوم الانسجام عند بعض الدارسين بالخطاب على عكس النص ،فالخطاب "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"[1]،والنص" وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة"[2].وعلى هذا ،فالنص ثابت ومستقر والخطاب متحرك ومتغير؛ لأن "النص يصبح عشرات الخطابات مع كل حالة تلق جديدة ؛لأن أدوات المؤولين تبعا لمتغيرات تخص كل متلق من المتلقين " [3] ،مما سبق ندرك أن الانسجام يتجلى في العلاقات الخفية التي تثير القارئ وتجعله يستدعي امكاناته ومعارفه وتجاربه للكشف عنها بالاستناد على التفسير و التأويل .

2-التداولية: شهدت الدراسات اللغوية تطوّرا كبيرا من حيث المفاهيم والمناهج والمصطلحات، خاصة في ظلّ الثورة اللغوية اللسانية، والتي ترسّخت معالمها على يد العالم السويسري فردينان دي سوسير (ت:1913م) الذي أعطى "الدراسة العلمية للسان البشري... وأول من بعج مفهوم البنية، جعل منه الأساس المنهجي للدراسة اللسانية الحديثة"[4]، وبتقسيماته الثنائية وبمفاهيمه التي أصبحت فيما بعد الأرضية والأساس؛ انطلقت منه العديد من المدارس والنظريات اللغوية الحديثة والمعاصرة من بينها الدراسات التي اهتمت بمراعاة المواقف والظروف المحيطة بالكلام، عُرِفَت باللسانيات التداولية والتي وصفها صلاح فضل بقوله: "أنها أحدث فروع العلوم اللغوية، وهي التي تُعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية، وخصائصها خلال إجراءات التواصل، مما يجعلها ذات صيغة تنفيذية عملية"[5]، فهي تقوم على تجاوز بعض المفاهيم التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس ومحاضرات دي سوسير وكتابات تشومسكي، فأصبحت تُعنى كما عُنيَّ القدماء بالمقام

(1)- مفتاح ،محمد.التشابه والاختلاف.المركز الثقافي العربي،بيروت ،لبنان،الدار البيضاء،المغرب،الطبعة الأولى؛1996،ص:15.

(2)-مفتاح ،محمد.التشابه والاختلاف.ص:35.

(3)- الرواشدة،سامح.قصيدة الوقت لأدونيس -ثنائية التساق والانسجام-جامعة مؤتة ،الأردن ،2002م،ص:03.

(4) - دبة، الطيب. مبادئ في اللسانيات البنوية -دراسة ابستمولوجية-. جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001، ص: 62.

(5) - فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم الكتب، القاهرة- مصر، 1992م،ص: 08.

اللغـــوي أي أنهـــا "تعـــالج الملفوظـــات ضـــمن ســـياقاتها التلفظيـــة، والخطابـــات ضـــمن أحوالهـــا التخاطبية"[1]. إذن، فهي تستند إلى ما يسمى بظاهرة الأفعال التلفظية أو الكلامية.

فالتداوليـــة مـــنهج لســـاني يهـــتم بدراســـة العلاقـــة بـــين الـــنص أو الخطـــاب مـــع منتجـــه ومســتعمله حتى يتسنى "الظفر بالدلالة الكاملة الكامنة في النص ذاته ،وفي نفس منتجه ومتلقيه على حد سواء"[2] ومدى اشتغاله في التواصل.

وبالتالي ؛فالانسـجام التـداولي هـو البحـث فـي العلاقـات الخفيـة التـي تحكـم الـنص أو الخطاب من خلال فهم وتأويل المتلقي.

2-السياق ومدلوله في الدراسات اللسانية:

يفيد السياق في معجم المصطلحات بأنّه "بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأيّ جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما يُكوِّن سياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط، بحيث يلقي ضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"

[3]كمـا نجـد أنّ مدلولـه الاصـطلاحي، يبحـث في الكيفيـة التي اتّسـق بهـا الـنص لإدراك فهمـه، فهـو "إطـار عـام تنـتظم فيـه عناصـر الـنّص ووحداتـه اللّغويـة، ومقيـاس تتصـل بوسـاطته الجمـل فيمـا بينهـا وتترابط، وبيئـة لغويـة وتداوليـة ترعى مجمـوع العناصـر المعرفيـة التي يقـدّمها الـنصّ للقـارئ، ويضـبط السّـياق حركـات الإحالـة بـين عناصـر الـنّص، فـلا يفهـم معنى الكلمـة أو جملـة إلاّ بوصـلها بـالتي قبلهـا أو بـالتي بعـدها داخـل إطـار السّـياق، وكثيـرا مـا يـرد الشـبه بـين الجمـل والعبـارات مـع بعـض الفـوارق التي تميـز بينهـا، ولا نسـتطيع تفسـير تلـك الفـوارق إلاّ بـالرجوع إلى السّـياق اللّغـوي، ولحظ الفوارق الدقيقة التي طرأت بين الجمل"[4].

([1]) - صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي-، دار التنوير ،الجزائر، الطبعة الأولى؛ 1429هـ، 2008م، ص: 25.

([2]) – خليفـــة،بوجادي.في اللســـانيات التداوليـــة مـــع محاولـــة تأصـــيلية فـــي الـــدرس العربـــي القـــديم. بيـــت الحكمة،سطيف،الجزائر،الطبعة الثانية؛2012م،ص:05.

(3)- فتحـي إبـراهيم، معجـم المصـطلحات الأدبية.المؤسسـة العربيـة للناشـرين المتحدين،صـفاقس،تونس،الطبعة الأولى؛1986م، ص: 201، 202.

(4)- بـــودرع، عبـــد الـــرحمن. مـــنهج الســـياق فـــي فهـــم الـــنّص. كتـــاب الأمة،سلســـلة دوريـــة فكريـــة ثقافية،قطر،العدد111،محرم1427هـ،شباط2006م، ص:27، 28.

أمّا السياق في النظر الغربي، فهو يعقد الصلة بين النص والمحيط الخارجي، فـ(هاليداي) ،يجعل مفهومه للسياق الجسر حيث يقول: "السياق هو النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر... وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثل اللّغوي ببيئته الخارجية"[1].ويرى (روبرت بوجراند): "ينبغي للنصّ أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف ، وهذه البيئة تسمى سياق الموقف، أمّا التركيب الداخلي للنّص فهو سياق البيئة"[2].

ويعد السياق من أبرز آليات وعمليات اشتغال المنهج التداولي ؛حيث تذهب بعض الدراسات الى أن التداولية هي العلم الخاص بالسياق،لأنها تهتم بدراسة أنواعه ومستوياته"[3].ويؤدي دورا فاعلا في تأويل وفهم وتفسير النص.

وقد قسم اللسانيون السياق الى :

أ- السياق المقالي : الذي يهتم بعلاقات البنية بغيرها من البنى التجاورية، ويقيم المعنى الوظيفي نتيجة لهذه العلاقات، وأبرز مظهر له يتجلى في بيان المعنى النحوي ولا تعنيه العلاقات الخارجية التي تؤديها العبارة.أي يهتم بالنص ذاته بجميع مستوياته اللغوية،لأن معنى الكلمة لا يتحدد الاّ بعلاقتها مع الكلمات التي تشترك معها في السياق ،فهو الي من خلاله تتجلى دلالة الكلمة من خلال استعمالها في اللغة"[4].

ب- السيّاق المقامي: وهو ظروف النص وملابساته الخارجية التي تشمل على الطبقات المقامية والمتباينة التي ينجزضمنها النص "[5].فيهتم بمؤديات المعنى في المقام، فيكون من اعتباراته المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بذلك.

([1])- يوسف، نور عوض. علم النّص ونظرية الترجمة. دار الثقة للنشر، مكة المكرمة، الملكة السعودية،الطبعة الأولى:1410هـ- 1989م، ص: 29.

([2])- دي بيرجراند روبرت. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر.ص: 91.

([3])-.ينظر :فرنسواز ،أرمينكو.المقاربة التداولية.ترجمة:سعيد علواش،مركز الإنماء القومي،بيروت ،لبنان،ص:09.

([4])-ينظر: أحمد،مختار.علم الدلالة.عالم الكتب ، القاهرة –مصر،ص:69.

([5])-ينظر:مباركي،جمال.التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر.رابطة ابداع الثقافي ،الجزائر،ص:151.

من النظرين العربي والغربي، تتّضح العلاقة بين النّص والسّياق، فالنّص لابدّ له من توفر سياق -المعبر عنه بالظروف المحيطة به- يتمّ إنتاجه فيه، فهما متكاملان ومتلازمان لأنّهما كما يقول: (جون لاينز): "فكل منهما متمم للأخر"[1].

3- لسانيات النص بين المفهوم والمصطلح:

توجه اهتمام معظم الدارسين في حقل الدراسات اللغوية في السنوات الأخيرة من دراسة الجملة، وما يتعلق بها، إلى دراسة النص بوصفه مجالا أوسع وفضاء أرحب، يمكن للباحث أن يختبر في إطاره النظريات اللغوية، ويضفي مفاهيم جديدة، ومن ثمّ أُرغم على الانتقال وتجاوز لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

1.2.تعريف لسانيات النص: تتركب لسانيات النص من كلمتين هما: لسانيات والنص.

أ. لسانيات : فكلمة لسانيات مصطلح عربي مقابل للمصطلح الأجنبي Linguistique، مشتقا من اللسان الذي هو في الأصل "جارحة الكلام وآلته، فهو العضو اللحمي المعروف في الفم، وأطلق مصطلح اللسان على مفهوم اللغة المنطوقة من قبل إطلاق السبب أو الآلة على المسبب، أو ما يحدث بتلك الآلة"[2]، وأضيفت اللاحقة "ات" من قبيل العلمية كرياضيات، أسلوبيات...إلخ.

أما من حيث التعريف الاصطلاحي: فهي "الدراسة العلمية للسان البشري من خلال متابعة ورصد شكله الآني التزامني الذي يبرز اللغة بوصفها بنى مترابطة وحدات متعالقة بشكل منظم ومتناسق يجعل منها نظاما من العناصر والقيم"[3].

ب. النصّ:

([1])- لاينز، جون. اللغة والمعنى والسياق. ترجمة: عباس صادق الوهاب،دار الشؤون الثقافية العامة،الطبعة الأولى؛ بغداد- العراق، 1987م، ص:215.

([2])- شامية، أحمد. في اللغة –دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية- .دار البلاغ، الجزائر، الطبعة الأولى؛ 1423هـ،2002م، ص:10.

([3]) - دبة، الطيب. مبادئ في اللسانيات البنيوية –دراسة تحليلية ابستيمولوجية- . -. جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001م،ص: 66.

1.التعريف اللغوي: لعل أبرز ما تحمله مادة نص في الحقول المعجمية ما أورده ابن منظور في لسان العرب مادة نصص: "النَصُّ رَفْعُك الشيء، وقيل التوقيف، وقيل التعيين على شيء ما، ونَصُّ الأمر شدته، ونَصَّ كل شيء: منتهاه، ونصَّ الحديث ينُصُّهُ نصا: رفعه، والمنصَّة: ما تُظهَر عليه العروس لتُرى، ونص المتاع نصا جعله بعضه على بعض، والنصُّ والنصيص السير الشديد...ونَصَنصْتُ الشيء: حركته والنصنصة الحركة والجمع نُصَصٌ ونِصاص"[1].

أما النص في المعجم الفرنسي (Texte) مأخوذة من "مادة Textus، اللاتينية التي تعني النسيج"[2].

من خلال المعنى اللغوي العربي، فكلمة النص تدل على الحركة والرفعة. أما في المعنى اللغوي الفرنسي؛ فهي تدل على الترابط والتماسك، كما تدل مكونات الشيء المنسوج ماديا من خلال تناسق وضم وترابط خيوط النسيج فيما بينها.

2.التعريف الاصطلاحي للنصّ: اختلفت تعاريف النص بين العديد من اللغويين سواء كانوا غربا أم عربا.

أ.تعريف النص عند اللغويين الغرب:

يتعرّض (هيلمسليف) إلى النص "بكونه عملية تلازم اللغة"[3]، أما (هاريس)، فالنص بالنسبة إليه "تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية. فهو يقيم دراسته على الجمل والعلاقات فيما بينها من خلال التتابع"[4].

كما تطرّق (هلبش) إلى النص من الجانب الدلالي حيث يعرفه بأنه "تتابع متماسك من الجمل على نحو أدق: من الوحدات النّصيّة"[5].

([1]) - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. . م6،ج50،ص:4442،4441.

([2]) - Le petit la rousse illustré- 2007- Yves Graver et autres, France, Juillet 2008, P: 1006.

([3]) - واورزنياك، زتسيسلاف. مدخل إلى علم النص -مشكلات بناء النص-. ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختارة، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى؛ 1424هـ، 2003م، ص: 54.

([4]) - م. س، ص: 54.

([5]) - واورزنياك، زتسيسلاف. مدخل إلى علم النص -مشكلات بناء النص-. ص: 54.

كما نجد (ايزنبرج) يعرف النص بأنه "تتابع من الجمل يترابط من خلال وسائل التنصيص مع تحديده، لهذه الوسائل كالربط السببي وربط الحافزي، وتخصيص وغيرها"[1].

ويعرف (هارفج) النص بأنه تتابع مشكل من خلال "تسلسل ضميري متصل بوحدات لغوية، فهو يؤسس مفهومه للنص على مبدأ الاستبدال ويصنع تصنيفا معقدا من أنماط الاستبدال كاستبدال المطابقة (تكرير الوحدات المعجمية، واستبدال المشابهة) نحو الإعادة من خلال المترادفات"[2].

إنّ تعريفات النص لـ (ايزنبرج) و (هارفج) تعد مميزة "لما سمي علم لغة النص القائم على نظام اللغة، الذي يحاول بحث الأشكال اللغوية المحضّة للنّصيّة"[3].

أما (فان دايك)، فينظر إلى النص من الجانب الدلالي، ويعرفه بأنّه "بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية، ويتصور البنية العميقة للنص كما منظما من التتابعات"[4]، ويبدو أن فان ديك قد استفاد من مقولات النظرية التوليدية التحويلية وكرّسها في النص.

غير أن (حلنش) ينظر إلى النص بمنظار مختلف عن سابقيه، حيث يعرفه بأنه "تكوين لغوي منشوء بالتزام مطابقا للمقصد-التزام بغرض ذي تأثير لاحق مساو، في الأغلب ليس في شريك بحسب، بل في عدد أكبر، نعم عدد كبير من الشركاء"[5]، فهو يربطه بالمقصد والتداول.

والذي نلاحظه من التعريفات التي أوردناها، أنّ لها "إما خاصية متعلقة بتركيب النص (ايزنيرج، وهارفج)، وإما متعلقة بدلالة النص (فان ديك، هلبش)، وإما متعلقة ببراجماتية النص-تداولية النص- (حلنش)" [6].

([1]) - م. س، ص: 54.
([2]) - م. س، ص: 55.
([3]) - م. س، ص: 56.
([4]) - م. س، ص: 56.
([5]) - م.س، ص: 65-60.
([6]) - م.س، ص: 59، 60.

وبهذا نفهم النص بأنه "مكون لغوي أفقي نهائي مقصود به التطابق لواقعة التواصل المختصة يصير من خلال الدمج الانجازي، وأوجه التناظر الدلالية الموضوعية والترابطات النحوية تتابعا متماسكا من الجمل"[1].ويبدو هذا التعريف جامعا للتعاريف السابقة، فهو ينظر إليه من زوايا عديدة، كزاوية التواصل، التداول، الدلالة، النحو، التماسك الجملي.

ب.تعريف النص عند اللغويين العرب:

اتفقت أبرز تعاريف اللغويين العرب –أمثال سعد مصلوح، وسعيد حسن بحيري، وإبراهيم صبحي الفقي- مع التعريف الذي أورده دي بيوجراند، وآلان دلايسلار بأنّه "حدث تواصلي يلزم بكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصيّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"[2].

وبهذا يتحدد مفهوم النص عند العرب والغرب بأنه تتابع متماسك من الجمل تربطه الأبعاد الثلاثة: البعد التركيبيّ والدلالي، والتداولي، وهذا كله في إطار القصدية وغرض التواصل.

من خلال ما سبق، يتبين المدلول الاصطلاحي للسانيات النص، بأنها الدراسة العلمية "لأبنية النصوص، وصياغتها مع إحاطتها بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة"[3] . فهي تقوم على وصف النصوص لاستكشاف بنيتها من جهة، وإحاطتها بالظروف المحيطة به من جهة أخرى.

ويُرجع العديد من الدارسين سبب نشوئها، إلى المنهج الذي قدّمه (هاريس) لتحليل الخطاب الذي اعتمد من خلاله على ركيزتين أولها: العلاقات التوزيعية بين الجمل،

(1) - بحيري، سعيد حسن. إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة. مؤسسة المختار، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى؛ 14296هـ ،2008م، ص: 17.

(2) - الفقي، صبحي إبراهيم. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دار قباء، مصر، الطبعة الأولى؛ 1421هـ، 2000م، ج1، ص 33.

(3) - مسيس، رياض. لسانيات النص حول بعض المفاهيم: المرجعيات والأبعاد. مجلة المبرز، بوزريعة، الجزائر، 2002م، ص: 161.

وثانيها: الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، من هاتين الركيزتين استمدت لسانيات النص معالمها، وأخذت ملامحها ومناهجها وإجراءاتها في التبلور منذ منتصف الستينات تقريبا[1].

2.2.المعايير التي تجعل من النص نصا:

وقف دي بيوجراند وآلان دلايسلار على مجموعة من المعايير التي من شأنها أن تجعل من أي حدث تواصلي نصا، وتحقق بذلك النصية، وتتمثل هذه المعايير كالتالي:

1.1.الاتساق: (Cohésion) أو الربط النحوي (Cohésion Grammatical) ووسائله هي:

1.1.أدوات الربط (الوصل): وسيلة بناء "لتفسير ما سيقدم في علاقته بما سبقه، حيث تفسر كيف أننا نتعرف مسبقا على وجود العلاقة الدلالية في سطح النص"[2]، وهناك تصنيفات كثيرة لأدوات الربط سوف نختار الهيكل المكون من أربعة عناصر الذي اعتمدا عليه هاليداي ورقية حسن وهو الإضافي، الاستدراكي، الزمني، السببي.

2.1.الاستبدال (Substitution): يقصد بالاستبدال "إحلال كلمة محل كلمة أخرى، فهو علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها علاقة بين المعاني، وينقسم الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال سواء كان (اسما أو فعلا أو جملة) إلى استبدال اسمي الذي يعبّر عنه بـ (واحد، نفس، ذات) واستبدال فعلي ويعبّر عنه بإضمار لفعل أو لحدث معين أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل. أما الاستبدال الجملي ففي هذا النوع من الاستبدال تقع أولا جملة الاستبدال ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة مثل هذا. ذلك"[3]. نحو قولنا:

هل سيكون هناك امتحان؟ هي قالت هذا ← التقدير: هي قالت سيكون هناك امتحان. **جملة الاستبدال** **كلمة الاستبدال**

([1]) - ينظر: عبد المجيد، جميل. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 1998م، ص: 66.

([2]) - شبل محمد، عزة. علم لغة النص- النظرية والتطبيق-. مكتب الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى؛ 1428هـ، 2007م، ص: 110.

([3]) - م. س، ص: 113.

والاستبدال علاقة نصية سابقة أي أنه يقع العنصر المستبدل أولا، ثم العنصر البديل له على عكس علاقة الربط (الوصل) الذي لا تتضمن إشارة نحو اللاحق أو السابق.

3.1.الحذف: ففي بعض السياقات، يمكن "حذف كلمة أو عبارة بدلا من تكرارها، فترد البنية قبل ورود البنية المضمرة، هذه الوسيلة تسمى حذفا، فيظهر الحذف عندما تشتمل عملية فهم النص إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص، حيث تفترض عنصرا سابقا يعد مصدرا للمعلومة المفقودة، وعلى حسب العنصر المحذوف ينقسم الحذف"[1] إلى:

حذف اسمي: المجاهدون توجهوا إلى ساحة القتال، الكل بروح التضحية

↓

العنصر البديل للعنصر المحذوف

المجاهدون.

حذف فعلي: كقوله تعالى: "**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي**"[2] أي لو تملكون تملكون خزائن"[3] رحمة ربي.

حذف جملي: هل ستحضر غدا إلى الملتقى؟ نعم. التقدير: سأحضر غدا إلى الملتقى.

4.1.الإحالة: يقصد بها "الأدوات التي تعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على استنادها إلى شيء آخر، فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر على معناها، ويدخل ضمنها الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وبعض العناصر المعجمية الأخرى من قبيل نفس، عين، بعض"[4]. ويشترط وجوبا في كل مضمر أن يكون له مفسر مناسب يحكمه، أو عنصر مفترض يكون قابلا للتطابق معه بطريقة ما[5].

([1]) - م.س، ص: 115 – 118.

([2]) - سورة الإسراء، الآية: 100.

([3]) - المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة- البيان المعاني والبديع. دار القلم، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية؛ 1984م، ص: 85.

([4]) - شبل محمد، عزة. علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 119

([5]) - م. س، ص: 119.

وبـذلك تلعـب الإحالـة دورا هامـا في اتسـاق الـنص، ويطلـق عليهـا مقاميـة، وتـدل عليهـا ضـمائر المـتكلم والمخاطـب، وإحالـة داخـل الـنص وبـدورها تنقسـم إلى إحالـة إلى سـابق (قبلية) كضمائر الغيبة، وإحالة إلى لاحق (بعدية) [1].

وبهـذا تكـون الإحالـة مـن أبـرز آليـات الاتسـاق النصـي، لأنهـا تـربط جـزءا لاحقـا بجـزء سـابق، كمـا تغني باسـتعمالها عـن اسـتعمال الكثيـر مـن الجمـل، وتجنـب التكـرار، وتسـاعد على الربط المحكم بين عناصر الجملة، ومن ثم الجمل ومنه النص ككل.

5.1.الـربط المعجمـي (Lexical Cohésion**):** يتحقـق السـبك المعجمي "بـين المفـردات أو الألفـاظ عبـر ظـاهرتين لغـويتين همـا التكـرار (Reiteration) يقصـد بـه تكـرار لفظتـين مرجعهمـا واحـد"[2]، والظـاهرة الثانيـة: هـي "المصـاحبة المعجميـة (Collocation) ويقصـد بهـا الارتبـاط الاعتيـادي لكلمـة مـا في لغـة بكلمـات معينـة"[3]، ووسـائلها التبـاين مـن خـلال كلمتـين أو لفظتـين متضـادتين (ولـد، بنـت) أو متخـالفين (الحـب، الكـره)، أو متعاكسـين (أمـر، أطـاع) وغيرها.

2. **الانسـجام**: كمـا أطلـق عليـه تمـام حسـان الالتحـام (cohérence) وهـو "يتطلـب مـن الإجـراءات مـا تنشـط بـه عناصـر المعرفـة لإيجـاد التـرابط المفهـومي (Conceptual connectivity) واسترجاعه وتشّمل وسائل الالتحام على:

1. العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.
2. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
3. السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية"[4].

وهـذه الظـاهرة اللغويـة تشـتمل على "تفاعـل القـارئ مـع الـنص"[1]، وذلـك بمحاولتـه فتح مغاليقه، باستناد إلى المعنى الذي يساعد على تماسك النص كوحدة متكاملة.

([1]) - ينظر: بحيري، سعيد حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى؛ 1426هـ،2005م، ص: 105 – 106.

([2]) - عبد المجيد، جميل. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. ص: 69.

([3]) - م. س، ص: 108.

([4]) - دي ببوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى؛ 1418هـ،1998م، ص: 103.

وينقسم إلى حبك دلالي وحبك براجماتي.

فأما الحبك الدلالي يحدد "العلاقات الدلالية التحتية (الأساسية) التي تسمح للنص بأن يُفهم ويستخدم، فهو سمة داخلية للنص، تسهم فيه وسائل الربط اللفظي، والعلاقات الدلالية بين الجمل"[2].

أما الحبك البراجماتي: إن النص يتماسك في ذاته دلاليا، كما "يتماسك براجماتيا باعتبار الموقف (Situation) ثم يتشكّل نسيج النص الذي يتغيّر تبعا لعوامل السياق"[3].

3.**القصد** (Intentionality): وهو يتضمن "موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطية معينة للوصول إلى غاية بعينها. وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العلمية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام مع تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة، وهذا التعارض عامل من عوامل ضبط النظام، يتوسط بين المرتكزات اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للمواقف"[4].

4.القبول (Acceptability): وهو يتضمن موقف "مستقبل النص إزاء كون صورة ما من اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركه في الغايات بين المستقبل والمنتج"[5].

5.رعاية الموقف (situationality)**:** وهي تتضمن العوامل"التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائدا يمكن استرجاعه. ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف أو يغيره، وقد لا توجد إلا الوساطة في عناصر الموقف كما في حالات الاتصال الموجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم

([1]) - شبل محمد، عزة. علم لغة النص- النظرية والتطبيق-. ص: 184.

([2]) - م. س، ص: 186.

([3]) - م. س، ص: 187.

([4]) - دي بيوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ص: 103.

([5]) - دي بيوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء. ص: 104.

ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر، إن مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال"[1].

6.التناص (Intertexuality): وهو يتضمن العلاقات "بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم غير وساطة، أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة، يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة، وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة"[2].

7.الإعلامية (Informativity): وهي العامل "المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل"[3].

هذه المعايير السبعة مجتمعة هي أساس التحليل النصي، حيث إنها لا تلغي أطراف المعادلة التواصلية (المرسل، المتلقي) مع استعانتها بالسياق، وأدوات الربط اللغوية، فهو تحليل ذو رؤية شاملة لجميع العناصر النصية.

وبهذا تكون لسانيات النص "فرع من الدراسة اللسانية، يقوم على تجاوز المنوال الذي وضع لنحو الجملة"[4]، والاهتمام بجميع جوانب العملية التواصلية، الروابط اللغوية، السياق، التداولية بهدف الوصول إلى اتساق وانسجام النص.

ب-دور أسباب النزول والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ في الترابط النصي:

ترتبط أسباب النزول المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ بالمستوى التداولي للنّص القرآني، وهذا الارتباط بين النّص كنسيج لغوي، وبين المستوى التداولي كسياق خارجي تنبه إليه أبو حيان ، وإلى دوره في الرّبط بين الآيات والسور، في كثير من المواضع في تفسير البحر المحيط.

(1)- م.س. ص: 104.

(2) - م. س، ص: 104.

(3) - م. س ، ص: 105.

(4) - الشاوش، محمد. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس لنحو النص. المؤسسة العربية، تونس، الطبعة الأولى؛ 1421هـ ،2001م. ج1ص: 79.

أ- فاعليـة أسـباب النـزول في تحقيـق الانسـجام التـداولي:يمكـن رصـد فاعليـة أسـباب النزول في تحقيق الترابط والانسجام التداولي من خلال تفسير البحر المحيط، فيما يأتي:

1- علاقـة سـبب النـزول بالمناسـبة:يلجـأ أبـو حيـان إلى سـبب النـزول في التّرابط بـين الآيتـين، كمـا في تفسـير قولـه تعـالى: "**أَمَـنَ الرَّسُـولُ بِمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـهِ مِـنْ رَبِّـهِ وَالْمُؤْمِنُـونَ**"(سـورة البقرة،الآيـة:285)، قـال: "سـبب نزولهـا أنّـه لمـا نـزل "**وَإِنْ تُبْـدُوا مَـا فِـي أَنْفُسِـكُمْ**"(سـورة البقرة،الآيـة:284)،الآيـة أشـفقوا منهـا ،ثـمّ تقـرر الأمـر علـى أن "**وَقَـالُوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَـا**"(سـورة البقرة،الآيـة:285)، فرجعـوا إلـى التضـرع والاسـتكانة ،فمـدحهم الله وأثنـى علـيهم، وقـدم ذلـك بـين يـدي رفقـه بهـم ،وكشـفه لـذلك الكـرب الـذي أوجبـه تـأولهم ،فجمـع لهـم تعـالى التشـريف بالمـدح والثنـاء ورفـع المشـقة في أمـر الخـواطر، وهـذه ثمـرة الطاعـة والانقطـاع إلى الله تعـالى، كمـا جـرى لبني إسـرائيل ضـد ذلـك مـن ذمهـم وتحميلهم المشـقات مـن الذلـة والمسـكنة والجـلاء ،إذ (**قَـالُوا سَـمِعْنَا وَعَصَـيْنَا**) (سـورة البقرة،الآيـة:93)،وهـذه ثمـرة العصـيان والتمـرد على الله، أعاذنـا الله تعـالى مـن نقمـه انتهى هـذا، هـو كـلام ابـن عطيـة، وظهـر بسـبب النـزول مناسـبة هـذه الآيـة لمـا قبلهـا"[1]. وكـلام أبـو حيـان يُظْهِـر اسـتخدامه سـبب النـزول في الـرّبط بـين الآيـات التي يتجـاوز عـددها المئـة وإحـدى وتسـعين آية.

وقـال في تفسـير قولـه تعـالى: "**إِنَّ الَّـذِينَ آَمَنُـوا وَالَّـذِينَ هَـاجَرُوا وَجَاهَـدُوا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ أُولَئِـكَ يَرْجُـونَ رَحْمَـةَ اللَّـهِ**"(سـورة البقرة،الآيـة:218)،"سـبب نزولهـا: أنّ عبـد الله بـن جحـش قـال: يـا رسـول الله، هـب أنّـه عقـاب علينـا فيمـا فعلنـا، فهـل نطمـع منـه أجـرا وثوابـا، فنزلـت لأن عبـد الله كـان مؤمنـا، وكـان مهـاجرا، وكـان بسـبب هـذه المقاتلـة مجاهـدا، ثـمّ هـي عامـة في مـن اتّصـف بهـذه الأوصـاف...وعلى هـذا السـبب فمناسـبة هـذه الآيـة لمّـا قبلهـا واضـحة"[2]. فعقـد بـين سـبب النـزول (وسـؤال عبـد الله بـن جحـش للرّسـول) وبـين الآيـة السـابقة: "**يَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الشَّـهْرِ الْحَـرَامِ قِتَـالٍ فِيـهِ قُـلْ قِتَـالٌ فِيـهِ كَبِيرٌ...وَأُولَئِـكَ أَصْـحَابُ**

(1)- الأندلسي، أبـو حيـان. محمـد بـن يوسـف بـن علي أثير الـدّين. تفسـير البحـر المحـيط. عـادل أحمـد عبـد الموجـود وعلـي محمـد معـوض، دار الكتـب العلميـة، بيـروت- لبنـان، الطبعـة الأولى؛ 1413هـ- 1993م.ج2، ص: 378.

(2)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج2، ص: 161.

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"(سورة البقرة،الآية:217)،وبين الأوصاف الثلاثة: الإيمان والهجرة والجهاد وبين الكفر والردة والفتنة.

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: "**وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا**"(سورة البقرة،الآية:229)،قال: "سبب النزول أنّ جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت "ثابت بن قيس بن شماس". وكانت تبغضه وهو يحبها فشكته إلى أبيها فلم يشكها ثم شكته إليه ثانية وثالثة وبها أثر ضرب فلم يشكها، فأتت النبي وأرته أثر الضرب ،وقالت :لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء ،والله لا أعتب عليه في دين ولا خلق، لكني أكره الكفر في الإسلام، ما أطيقه بغضا إنّي رفعت جانب الخيام فرأيته أقبل في عدّة وهو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها، فقال ثابت: ما لي أحب إليّ منها بعدك يا رسول الله وقد أعطيتها حديقة تردها عليّ وأنا أخلي سبيلها ،ففعلت ذلك فخلى سبيلها، وكان أول خلع في الإسلام، ونزلت الآية ومناسبة هذه الآية لمّا قبلها أنه لمّا ذكر تعالى الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان اقتضى ذلك أن من الإحسان أن لا يأخذ الزوج من امرأته شيئا ممّا أعطاها، واستثنى من هذه الحالة قصة الخلع فأباح للرجل أن يأخذ منها على ما سنبينه في الآية"[1]، فربط سبب النزول (قصة الخلع) بالآية السابقة من خلال ما يأخذه الزوج من زوجته في حالة الطلاق.

وفي تفسيره لقوله تعالى: "**فإن زَلَلْتُم مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْكُم البَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"(سورة البقرة،الآية:209)،ربط بين مناسبة اللفظة وسبب النزول، قال: "في وصفه بالحكمة دلالة على اتقان أفعاله وأن ما يرتبه من الزواجر لمن خالف هو من مقتض الحكمة، وروي أنّ قارئا قرأ (غفور رحيم) فسمعه أعرابي فأنكره، ولم يكن يقرأ القرآن، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزّلل، لأنّه إغراء عليه،وقد روي عن كعب ، نحو هذا، وأنّ الذي كان يتعلم منه أقرأه فاعلموا أن الله (غفور رحيم)،فأنكره حتى سمع عزيز حكيم، فقال هكذا ينبغي" [2] .والظاهر أنّ أبا حيان استحضر سبب النزول الذي يعبّر عن الحادثة التي دعت إلى نزول الآية للكشف عن الرابطة والعلاقة التي حققت الاستمرارية الدّلالية من خلال ارتباط الآيات بعضها ببعض. فسبب النزول بيّن له المناسبة بين الآيات.

([1])- م .س،ج2، ص: 205، 206.

([2])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج2، ص: 132.

2- سبب النزول والسياق: يُساهم السياق وسبب النزول في إحداث ترابط بين الآيات، وممّا استدل به أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى: "**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**"(سورة البقرة،الآية:197)، قال: "روي عن ابن عباس أنّها نزلت في ناس من اليمن يحجون بغير زاد، ويقولون نحن متوكلون بحج بيت الله، أفلا يطعمنا، فيتوصلون بالناس، وربّما ظلموا وغصبوا فأمروا بالتزود، وأن لا يظلموا ويكونوا كلا على الناس...فعلى ما روي من سبب نزول هذه الآية يكون أمرا بالتزود في الأسفار الدنيوية، والذي يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده، وأن يكون الأمر بالتزود هنا بالنسبة إلى تحصيل الأعمال الصالحة التي تكون له، كالزاد إلى سفره للآخرة، ألا ترى قبله "**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**"[1](سورة البقرة،الآية:197)،ومعناه الحث والتحريض على فعل الخير الذي يترتب عليه الجزاء في الآخرة، وبعده " **فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** "(سورة البقرة،الآية:197)."[1]

وفي تفسيره لقوله تعالى: "**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**"(سورة البقرة،الآية:202)،قال: "وروي عن ابن عباس أنّ النصيب هنا مخصوص بمن حج عن ميت يكون الثواب بينه وبين الميت، وروي عنه أيضا في حديث الذي سأل هل يحج عن أبيه وكان مات وفي آخره، قال :فهل لي من أجر؟، فنزلت هذه الآية قيل، وإذا صح هذا فتكون الآية منفصلة عن التي قبلها معلقة بما قبلها من ذكر الحج، ومناسكه، وأحكامه، انتهى. وليست كما ذكر منفصلة، بل هي متصلة بما قبلها، لأنّ ما قبلها هو في الحج وأن انقسام الفريقين هو في الحج، فمنهم من كان يسأل الله الدنيا فقط ومنهم من يسأل الدنيا والآخرة، وحصل الجواب للسائل عن حجه عن أبيه ألـه فيه أجر؟ بعموم قوله أولئك لهم نصيب ممّا كسبوا"[2].فأبو حيان يُعقِّب على كلام ابن عباس، بأنّ الآية متصلة بما قبلها لا منفصلة من خلال رجوعه إلى السياق وسبب النزول؟ لأن تلك الآيات المتتابعة لها سياق واحد وهو سياق الحج.

ومن ذلك –أيضا- تفسيره قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**"(سورة النساء،الآية:43)، قال أبو حيان: "روي أنّ جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل التحريم، وحانت صلاة، فتقدم أحدهم فقرأ "**قُلْ**

(1)- م .س،ج2، ص: 101.

(2)- م .س،ج2، ص: 114.

يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"(سورة الكافرون،الآية:01)،فخلط فيها فنزلت، وقيل: نزلت بسبب قول عمر ثانيا: اللّهم بيّن لنا في الخمر بيان شافيا، وكانوا يتحامونها أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها، فلا يصبحون إلاّ وقد ذهب عنهم السَكر إلى أن سأل عمر ثالثا، فنزل تحريمها مطلقا...ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنّه لمّا أمر الله تعالى بعبادة الله والإخلاص فيها، وأمر ببرّ الوالدين ومكارم الأخلاق، وذمّ البخل واستطرد منه إلى شيء من أحوال القيامة ،وكان قد وقع من بعض المسلمين تخليط في الصلاة، التي هي رأس العبادة بسبب شرب الخمر،ناسب أن تخلص الصلاة من شوائب الكدر التي يوقعها على غير وجهها ، فأمر تعالى بإتيانها على وجهها دون ما يفسدها، ليجمع لهم بين إخلاص عبادة الحق ومكارم الأخلاق التي بينهم وبين الخلق"[1].

كما يستعين بسبب النزول للكشف عن الحذف، نحو تفسيره لقوله تعالى: "**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**"(سورة النساء،الآية:166)، قال أبو حيان: "الاستدراك بلكن يقتضي تقدم جملة محذوفة، لأنّ لكن لا يبتدأ بها، فالتقدير: ماروي في سبب النزول: وهو أنّه لمّا نزل "**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**"(سورة النساء،الآية:163)،قالوا :ما نشهد لك هذا، لكن الله يشهد، وشهادته تعالى بما أنزله إليه إثباته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبيّنات"[2]. ومعلوم ما يفيده الرّبط بالحذف عن تماسك وانسجام للنّص.

من النماذج السابقة، اتضح وتبيّن مدى فاعلية السياق وسبب النزول في الرّبط والوصل بين الآيات.

3- سبب النزول والإجمال والتفصيل: استحضر أبو حيان سبب النزول للكشف عن العلاقات المعنوية بين الآيات من خلال علاقة التفصيل لما ذكر مجملا، ومن ذلك تفسيره قوله تعالى: "**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**"(سورة آل عمران،الآية:164)، قال أبو حيان: "مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنّه تعالى لمّا ذكر الفريقين فريق الرضوان، وفريق السخط، وأنّهم درجات عند الله مجملا من غير تفصيل، فصّل أحوالهم، وبدأ بالمؤمنين، وذكر ما امتنّ عليهم من بعث الرسول إليهم، تاليا لآيات الله،

(1)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج3، ص: 265.
(2)- م .س،ج3، ص: 415.

ومبيّنا لهم طريق الهدى، ومُطهّرا لهم من أرجاس الشرك، منقذا لهم من عمرة الضّلالة بعد أن كانوا فيها، وسلاهم ممّا أصابهم يوم أحد من الخذلان والقتل والجرح، لمّا أنالهم يوم بدر من الظفر والغنيمة، ثمّ فصل حال المنافقين الذين هم أهل السُخط بما نصّ عليه تعالى"[1].فأبو حيان اعتمد على واقعة الهزيمة يوم أحد والنصر يوم بدر، وعلى توضيح وبيان ما أجمل في الآيات السابقة للرّبط بين هذه الآية وما قبلها.

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ**"(سورة البقرة،الآية:207)،قال أبو حيان: "...نزلت في المسلم يلقى الكافر، فيقول: قل لا إله إلاّ الله فلا يقولها، فيقول: والله لأشرين فيقاتل حتى يقتل، وقال "ابن عباس": في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...وذكر المفسرون غير هذا وقصصا طويلا في أخبار هؤلاء المعينين الذين قيل نزلت فيهم الآية، والذي ينبغي أن يقال: إنّه تعالى لمّا ذكر "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ**"(سورة البقرة،الآية:204)،وكان عاما في المنافق الذي يبدي خلاف ما أُضمر، ناسب أن يذكر قسيمه عامّا من يبذل نفسه في طاعة الله تعالى من أيّ صعب كان، فكذلك المنافق مدار نفسه بالكذب والرياء وحلاوة المنطق، وهذا باذل نفسه لله ولمرضاته، وتندرج تلك الأقاويل التي في الآيتين تحت عموم هاتين الآيتين، ويكون ذكر ما ذكر من تعيين من عين إنّما هو على نحو من ضرب المثال"[2].ويبدو أنّ أبا حيان لجأ إلى سبب النزول لإيضاح العلاقة بين الآيتين، فالآية الرابعة بعد المائتين من سورة البقرة خُصِّصَت لعموم المنافقين، أما الآية –السابعة بعد المئتين- فخُصِّصَت لعموم المؤمنين،فالرّبط بين الآيات أقيم على أساس علاقة التعميم وإجمال لصفات المؤمنين والمنافقين من خلال إظهار سبب النزول. وعليه، فإنّ سبب النزول ساهم في إبراز العلاقة النّصية المعنوية بين الآيات من خلال علاقة الإجمال والتفصيل.

مما سبق نخلص إلى أهمية أسباب النزول- باعتباره أحد فروع السياق غير اللغوي- في بيان المعنى المراد للنّص القرآني من جهة، ومن جهة أخرى تضافره مع قرائن أخرى كالمناسبة والسياق اللغوي والإجمال والتفصيل والعموم التي لاءمت بينه وبين الآيات، حيث من هذا التلاؤم والتلاحم أقام أبو حيان الترابط النّصي بين الآيات.

([1])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج3، ص: 108.

([2])- م. س. ج2، ص: 127، 128.

ب- دور المكي والمدني في إبراز الانسجام النّصي بين السور: يُعد المكي والمدني أحد فروع السياق غير اللغوي، يقف عندهما أبو حيان في مستهل تفسير كل سورة. فهو ينظر إليهما من الجانب الزمني لا المكاني، قال: "وكل ما نزل بعد الهجرة بالمدينة، أو في سفر، أو بمكة، فهو مدني"[1]، وفي مقابل هذا أنّ كل ما نزل قبل الهجرة، فهو مكي.

وبما أنّ ترتيب النّص القرآني لا يرتبط بترتيب النزول، فقد تتقدم سورة مكية على سورة مدنية أو بالعكس، وهذا يعني أنّ الترابط بين السور لا يخضع لسبب النزول ولا مكانه ولازمانه، غير أنه يستفاد منه للكشف على الرابطة التي لاءمت بين السور.ويتضح ذلك من خلال الموضوعات التي ترتبط بها السورة السابقة مع السورة اللاحقة، ويمكن حصرها فيما يأتي:

1- الترابط بين سورتين مكيتين: فقد جاء في آخر سورة هود المكية ،قوله تعالى: " **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**"(سورة هود،الآية:120)،قال أبو حيان: "وتثبيت الفؤاد هو ما جرى للأنبياء – عليهم الصلاة والسلام- ولأتباعهم المؤمنين، وما لقوا من مكذبيهم من الأذى ،ففي هذا كله أسوة بهم، إذ المشاركة في الأمور الصعبة تهون ما يلقى الإنسان من الأذى، ثمّ الإعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات المستأصلة بأنواع من العذاب من غرق وريح، ورجفة، وخسف، وغير ذلك فيه طمأنينة للنفس، وتأنيس بأنْ يصيب الله من كذّب الرّسول -صلى الله عليه وسلم- بالعذاب، كما جرى لمكذّبي الرسل، وإنباء له- عليه الصلاة والسلام- بحسن العاقبة له، ولأتباعه، كما اتفق للرّسل وأتباعهم والإشارة بقوله (في هذه) إلى أنباء الرسل التي قصّها الله تعالى"[2].وافتتحت سورة يوسف ،بقوله تعالى: "**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**"(سورة يوسف،الآية:1-3)،وبالرجوع إلى سبب نزولها،قال: "أنّ كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا -رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن السبب الذي أحلّ بني إسرائيل بمصر، فنزلت، وقيل: سببه تسلية الرسول –صلى الله عليه وسلم- عمّا كان يفعل به قومه، بما فعل

(1)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج3،ص:427.

(2)- م .س،ج5، ص: 274.

إخـوة يوسـف بـه، وقيـل :سـألت اليهـود رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم- أن يحـدثهم أمـر يعقوب وولده"[1].

وبـالنظر إلى سـبب النـزول وإلى خاتمـة سـورة هـود، يظهـر وجـه التناسـب بينهمـا ،قـال أبـو حيـان: "ووجـه مناسـبتها لمـا قبلهـا وارتباطهـا، وأنّ في آخـر السـورة التي قبلهـا " **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** "(سـورة هود،الآيـة:120)،وكـان في تلـك الأنبـاء المقصوصـة فيهـا مـا لاقى الأنبيـاء مـن قـومهم، فـأتبع ذلـك بقصـة يوسـف، ومـا لاقـاه مـن إخوتـه، ومـا آلـت إليـه حالـه مـن حسـن العاقبـة، ليحصـل للرسـول –صـلى الله عليـه وسـلم- التسلية الجامعة، لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب"[2].

ولأنّ المـائز في السـور المكيـة ذكـر قصـص الأنبيـاء والأمـم الغـابرة – مـا عـدا سـورة البقـرة- قـال عنـد قولـه تعـالى: " **وَإِنَّـكَ لَتُلَقَّـى الْقُـرْآنَ مِـنْ لَّـدُنْ حَكِـيمٍ عَلِـيمٍ**"(سـورة النمل،الآيـة:06)،وهـذه الآيـة تمهيـد لمـا يخبر بـه مـن المغيبـات وبيـان قصـص الأمـم الخاليـة، ممّـا يـدل علـى تلقيـه ذلـك مـن جهـة الله، وإعلامـه بلطيـف حكمتـه ودقيـق علمـه تعالى"[3].وعلى هذا الأساس ربط بين السورتين السابقتين.

ومـن ذلـك الترابط أيضـا بـين سـورتي لقمـان والسـجدة، فقـد اختتمـت سـورة لقمـان ،بقولـه تعـالى: "**إِنَّ اللَّـهَ عِنْـدَهُ عِلْـمُ السَّـاعَةِ وَيُنَـزِّلُ الْغَيْـثَ وَيَعْلَـمُ مَـا فِي الْأَرْحَـامِ وَمَـا تَـدْرِي نَفْـسٌ مَـاذَا تَكْسِـبُ غَـدًا وَمَـا تَـدْرِي نَفْـسٌ بِـأَيِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ إِنَّ اللَّـهَ عَلِـيمٌ خَبِيـرٌ**"(سـورة لقمان،الآيـة:34)،وافتتحـت سـورة السـجدة ،بقولـه تعـالى: "**الـم، تَنْزِيـلُ الْكِتَـابِ لَا رَيْـبَ فِيـهِ مِـنْ رَبِّ الْعَـالَمِينَ، أَمْ يَقُولُـونَ افْتَرَاهُ بَـلْ هُـوَ الْحَـقُّ مِـنْ رَبِّـكَ لِتُنْـذِرَ قَوْمًـا مَـا أَتَـاهُمْ مِـنْ نَـذِيرٍ مِـنْ قَبْلِـكَ لَعَلَّهُـمْ يَهْتَـدُونَ**"(سـورة السـجدة،الآية:1-3)،قـال أبـو حيـان:" هـذه السـورة مكيـة...قال كفـار قـريش: لـم يبعـث الله محمـدا إلينـا ،وإنّمـا الـذي جـاء بـه اخـتلاق منـه فنزلـت، ولـمّا ذكـر تعـالى فيمـا قبلهـا دلائـل التوحيـد مـن بـدء الخلـق، وهـو الأصـل الأول ثـم ذكـر المعـاد والحشـر وهـو الأصـل الثـاني وخـتم بـه السـورة. ذكـر في بـدء هـذه السـورة الأصـل

([1])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج5، ص: 278.

([2])- م. س، ج5، ص: 278.

([3])- م. س، ج7، ص: 53.

الثالث، وهو: تبيين الرسالة و(الكتاب) القرآن"[1]. فقد ربط أبو حيان بين السورتين بالرجوع إلى دلائل التوحيد وأصوله، وهذا ميزة السورة المكية.

2- الترابط بين السورتين المدنيتين: لم يقتصر الترابط بين السورتين المكيتين، بل يشمل أيضا الترابط بين السورتين المدنيتين، فيظهر ذلك بين سورتي الفتح والحجرات، جاء في آخر سورة الفتح ،قوله تعالى: "**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**"(سورة الفتح،الآية:29)،وافتتحت سورة الحجرات ،بقوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**"(سورة الحجرات،الآية:01)،قال أبو حيان: "هذه السورة مدنية، ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة، لأنّه ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ثم قال (**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء ممّا ينبغي أن ينهي عنه فقال تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** " وكانت عادة العرب وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء، وأن يتكلم كلٌّ بما يشاء وفعل ما أحب، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعد ذلك"[2].

ولأنّ المائز في السور المدنية عن السور المكية، "أنّ كل شيء نزل فيه "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**"(سورة البقرة،الآية:21)، فهو مكي، و"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**"(سورة البقرة،الآية:178) ، فهو مدني أمّا في "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**"' فصحيح وأما في ""**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**"فيحمل على الغالب لأنّ هذه السورة [البقرة] مدنية، وقد جاء فيها يا أيّها الناس"[3].ويبدو أن معرفة المدني من المكي ساهم في توجيه المعنى الرابط بين السورتين.

ونجد ذلك بين سورتي الممتحنة والحشر، فقد اختتمت سورة الحشر، بقوله تعالى: "**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ**

(1)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج7، ص: 191.
(2)- م .س،ج8، ص: 105.
(3)- م.س،ج1، ص: 233.

السَّبِيلِ"(سورة الممتحنة،الآية:01)،قال أبو حيان: "هذه السورة مدنية، ونزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة ، كان قد وجه كتابا مع امرأة إلى أهل مكة يخبرهم بأنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- متوجه إليهم لغزوهم، فأطلع الله رسوله –صلى الله عليه وسلم- على ذلك ووجه إلى المرأة من أخذ الكتاب منها، والقصة مشهورة في كتب الحديث والسير،ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنّه لمّا ذكر فيما قبلها حالة المنافقين الكفار، افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار، والتودّد إليهم"[1].ومن سبب النزول، اتضحت مدنية السورة، من خلال قوله الغزو من المدينة إلى مكة ومن ذكره أمر الكفار. بالإضافة إلى بداية السورة بـ" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا** ".

3- الترابط بين السور المختلف فيها:من بين السور المختلف فيها –في نظر أبي حيان- سورتي الفجر والبلد، حيث تتقدم سورة الفجر على سورة البلد، قال أبو حيان: "هذه السورة مكية في قول الجمهور، وقال علي بن أبي طلحة: مدنية"[2]، والراجح من القولين أنّها مكية، ويشهد لذلك" أسلوبها واستهلالها بالقسم، وفي موضوعاتها"[3].فالسورة ذكرت أحوال الأمم السابقة ومشاهد يوم القيامة.

وأمّا سورة البلد، فقد قال أبو حيان: "هذه السورة مكية في قول الجمهور، وقيل: مدنية"[4]، والراجح أنّها مكية،قال الزمخشري: "أن السورة بالاتفاق مكية"[5]، ويشهد لذلك افتتاحها بالقسم.

وبالنظر إلى المناسبة بينهما، قال أبو حيان: "ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم، وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل إليه حاله وحال المؤمن، أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما آل إليه في الآخرة"[6]، نجد أن

([1])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدّين. تفسير البحر المحيط. ج8، ص: 250.

([2])- م. س، ج8، ص:462.

([3])- الشايع ،محمد بن عبد الرحمن.المكي والمدني في القرآن الكريم.مكتبة الملك فهد،الرياض- المملكة السعودية،الطبعة الأولى؛1418هـ-1997م،ص:67.

([4])- م .س، ج8، ص: 469.

([5])- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة- مصر.الطبعة السابعة،2000 ،ج6، ص: 376.

([6])- م .س،ج8، ص:469.

الانتقال من حالة إلى حالة دليل على مكية السورتين، كما أنّه اعتمد في توجيه المناسبة بينهما على موضوعات كلا السورتين.

ومن ذلك سورتي قريش والماعون، ذكر أبو حيان أنّ سورة الماعون "مكية في قول الجمهور، مدنية في قول ابن عباس وقتادة، قال هبة الله المفسر الضري: نزل نصفها بمكة في العاصي بن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق"[1]. والراجح أنّ السورة كلها مكية: "والذين قالوا بمدينة نصفها الآخر اعتمادا على الآيات "**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**"(سورة الماعون،الآية:4-7)،نزلت في المنافقين ،والنفاق لم يظهر إلاّ في المدينة"[2].

أمّا سورة قريش فهي سورة "مكية في قول الجمهور، مدنية في قول الضحاك وابن السائب"[3].وقد حدّد المناسبة بينهما بقوله: "ولما عدد تعالى نعمه على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه"[4].

ويتضح أن أبا حيان يستفيد من المكي والمدني وأسباب النزول لتوجيه فهم المعنى الذي ينشأ من تشابه الموضوعات التي تتناولها كل سورة.

ج- الناسخ والمنسوخ وعلاقته بالسياق اللغوي:يُشكل معرفة النّاسخ والمنسوخ العلاقة بين النّص وبين ترتيب الأحداث التي ينشأ من خلالها إثبات الحكم الشرعي أو رفعه، حيث إنّ تجاهل تلك العلاقة في نظر النّصين "يؤدي إلى إرباك النّص بل إرباك المتلقي وفقدان لأهم معايير تماسكه وقصده وقبوله"[5].

ولقد اهتم أبو حيان اهتماما بالغا في رصد مواضع النسخ، والتي بلغت في تفسيره تقريبا خمسين موضعا، حيث إنّه جعل شروط تحققه قائمة على إثبات الحكم أو رفعه، قال أبو حيان في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ**

(1)-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ج8، ص: 517.

(2)- أبو العلا،عادل محمد صالح.خصائص السور والآيات المدنية ومقاصدها.ماجستير،أم القرى،المملكة السعودية،1404هـ-1984م،ص:181.

(3)- م .س،ج8، ص:514.

(4)- م.س،ج8،ص:517.

(5)- نوفل، يسرى. المعايير النصية في السور القرآنية- دراسة تطبيقية مقارنة- دار النابغة، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى؛ 1436هـ- 2014م، ص: 212.

بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى"(سورة البقرة،الآية:178): "فنسخت هذه الآية ما كانوا يفعلونه، ولا يكون هذا نسخا، لأنّ فعلهم ذلك ليس حكما من أحكام الله فينسخ بهذه الآية"[1].وعلى هذا الأساس، يمكن تعيين العلاقة بين النّص والسياق فيما يلي:

أ- التدرج في الأحكام الشرعية:قال أبو حيان عند قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**"(سورة البقرة،الآية:219)،وقال ابن جبير: لما نزل: " **قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**"، كره الخمر قوم للإثم، وشربها قوم للمنافع حتى نزل "**لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**"(سورة النساء،الآية:43)، فاجتنبوها في أوقات الصلاة، حتى نزل (**فَاجْتَنِبُوهُ**) (سورة المائدة،الآية:90)،فحرمت قال مكي: فهذا يدل على أنّ هذه منسوخة بآية المائدة ولا شك في أن نزول المائدة بعد البقرة"[2].

ويتضح من ظاهر الآية أن حكم الخمر يقع بين الإثم والمنفعة، وهذا يؤكد أنّ حكمها مؤقت، رفعه قوله تعالى: "**لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**"(سورة النساء،الآية:43)، باجتناب الخمر في أوقات الصلاة ليرفعه حكم آخر قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**"(سورة البقرة،الآية:285)، (سورة المائدة،الآية:90)،فحرمت.فالتدرج في تحريم الخمر، اعتمد فيه على السياق غير اللغوي الذي وضع زمن ترتيب الآية مع زمن ترتيب آية المائدة، لأسبقية نزول البقرة على المائدة، فنسخت آية المائدة آية البقرة، وأصبح الحكم الشرعي تحريم الخمر الحكم الذي استقر عليه الفقهاء.

وبذلك، فإنّ علاقة النّص غير اللغوي- ترتيب زمن الآيات- ساهمت في انسجام النّص القرآني؛ بتحديد الفهم الصحيح للحكم الشرعي للخمر.

ممّا سبق، يتضح فائدة السياق غير اللغوي في الاستدلال على بيان الفهم الصحيح للحكم الشرعي.

ب- وجود قرينة بين الناسخ والمنسوخ:اعتمد أبو حيان في معرفة النسخ على وجود ما يدل عليه في النص قال عند تفسير قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**

(1)- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج2، ص: 12.
(2)- م .س،ج2، ص: 166.

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ...وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"(سورة الأنفال،الآية:65-66)،"هاتان الجملتان شرطيتان في ضِمْنِهِمَا الأمر بصبر عشرين لمائتين، ويصبر مائة لألف، ولذلك دخلها النسخ، إذ لو كان خبرا محضا لم يكن فيه النسخ لكن الشرط إذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ، وهذا من ذلك، ولذلك نسخ بقوله: "**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ**"(سورة الأنفال،الآية:66)،والتقييد بالصبر في أول كل شرط لفظا هو محذوف من الثانية لدلالة ذكره في الأولى وتقييد الشرط الثاني ،بقوله (**مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**) (سورة الأنفال،الآية:65)،لفظا هو محذوف من الشرط الأول في قوله (**يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**) (سورة الأنفال،الآية: 65)، فانظر إلى فصاحة هذا الكلام، حيث أثبت قيد من الجملة الأولى، وحذف نظيره من الثانية، وأثبت قيد في الثانية وحذف من الأولى: ولمّا كان الصبر شديد المطلوبية أثبت في أولى جملتي التخفيف وحذف من الثانية لدلالة السابقة عليه ثمّ ختمت الآية ،بقوله: " **وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**"(سورة الأنفال،الآية:66)،مبالغة في شدة المطلوبية، ولم يأت في جملتي التخفيف قيد الكفر اكتفاء بما قبل ذلك"[1]. فالشرط المتضمن معنى التكليف، هو الذي أجاز النسخ بين الآيتين، وأكده السياق غير اللغوي، قال: "كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قد بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب، قيل: ثمّ ثقل عليهم ذلك، وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة، فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين. وقال بعض العلماء:الذي استقر حكم التكليف عليه بمقتضى هذه الآية أن كل مسلم بإزاء المشركين عبدا كان أو حرا فالهزيمة عليه محرمة مادام معه سلاحه يقاتل به، فإن كان ليس معه سلاح فله أن ينهزم وإن قابله ثلاثة حلت له الهزيمة، والصبر أحسن"[2].

فتعانق السياق اللّغوي "الشرط المتضمن معنى التكليف"، والسياق غير اللغوي "سبب الحادثة". حدّد حكم التكليف في قتال المشركين والحث على الصّبر لهزيمتهم.

ممّا سبق ،نخلص إلى أهمية أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ عند أبي حيان في تفسير النص القرآني، وقد تضافرت هذه الأوجه الثلاثة باعتبارها تمثل السياق غير اللغوي والذي عبر عنه النصيون بالموقفية مع السياق اللغوي الذي يمثل

([1])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج4، ص: 511، 512.

([2])- م .س،ج4، ص: 512.

التشكيل اللغوي للنص من فهم وبيان المعنى المراد من النص من ناحية، وخلق الترابط والتماسك بينهما من ناحية أخرى.

ج-المتلقي في تفسيرالبحر المحيط:يشير المدلول الاصطلاحي للنّص بأنّه "حدث تواصلي يلزم بكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنّص مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير".[1] فشرط تحقق النّصية يكمن في تحقق المعايير السبعة مجتمعة.

وبالنظر إلى تلك المعايير في ضوء النص القرآني، نجد أنّها تنقسم إلى فرعين: أحدهما: معايير تهتم ببنية النّص اللغوية، وتحقق تماسكها من خلال السبك والحبك والتناص.

والثاني: معايير ترتبط بالجوانب التواصلية التداولية، وتندرج ضمنها كل العناصر غير اللّغوية التي تُسهم في فهم النّص القرآني، وتتمثل في الموقفية، والإعلامية والقبولية والقصدية.

من الفرعين السابقين، تتحدد العلاقة بين النّص والباث والمتلقي باعتبار أنّ مدار الفرع الأول النص، ومدار الفرع الثاني المتلقي (القارئ أو السامع) الذي له مهمة البحث عن التماسك والترابط الذي يحقق النّصية. وعليه يمكن بيان تلك العلاقة في تفسير البحر المحيط، كما يلي:

أ- أثر الإعجاز في اختلاف المتلقين:

إنّ النّص القرآني حين يسمعه المتلقي لابدّ أن يترك في نفسه أثرا يختلف من مستمع إلى آخر، وتختلف معه درجة إدراك الإعجاز، قال أبو حيان: "كان بعض الكفّار حين يسمع القرآن أدرك إعجازه للوقت، فوقف وأسلم، وآخر أدرك إعجازه فكفر، ولجّ في عناده "**بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**"(سورة البقرة،الآية:90)،فنسبه تارة إلى الشعر وتارة إلى الكهانة والسحر، وآخر لم يدرك إعجاز القرآن، كتلك المرأة العربية التي قدمنا ذكرها، وكحال أكثر الناس، فإنهم لا يدركون إعجاز القرآن من جهة الفصاحة.

([1])- الفقي، صبحي إبراهيم. علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق. دار قباء، مصر،الطبعة الأولى؛ 1431هـ-2000م.ج1، ص: 33.

فمن أدرك إعجازه، فوقف وأسلم بأول سماع سمعه (أبو ذر) رضي الله عنه: قرأ عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من أوائل فصلت آيات فأسلم للوقت، وخبره في إسلامه مشهور.

ومن أدرك إعجازه وكفر عنادا (عتبة بن ربيعة) ، وكان من عقلاء الكفار، حتى كان يتوهم (أمية بن الصلت) أنه هو، يعني عتبة يكون النبي المنبعث في "قريش"، فلمّا بعث الله محمدا –صلى الله عليه وسلم-، حسده عتبة وأضرابه، مع علمهم بصدقه، وأنّ ما جاء به معجز وكذلك (الوليد بن المغيرة) ،روي عنه أنّه قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ،ولا من كلام الجن، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو وما يعلى، ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد والأشر، حتى قال، ما حكى الله عنه: "**إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**"(سورة المدثر،الآية:24-25).

وممن لم يدرك إعجازه، أو أدرك وعائد وعارض، (مسيلمة الكذاب) ،أتى بكلمات زعم أنّها أوحيت إليه ، انتهت في الفهامة والعي والغثاثة ، بحيث صارت هزأة للسامع وكذلك أبو الطيب المتنبي.

وقد ذكر القاضي أبو بكر محمد بن أبي الطيب الباقلاني، في كتاب الانتصار في إعجاز القرآن ، شيئا من كلام أبي الطيب ممّا هو كفر.

وذكر لنا قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري أنّ أبا الطيب ادعى النبوة، واتبعه ناس من عبس وكلب، وأنّه اختلق شيئا ادعى أنّه أوحي إليه به سورا سماها العبر، وأنّ شعره لا يناسبها لجودة أكثره ورداءتها كلها، أو كلاما هذا معناه، وإنّما أتينا بهذه الجملة من الكلام، ليعلم أنّ أذهان الناس مختلفة في الإدراك على ما شاء الله تعالى وأعطى كل أحد"[1].

يتبين من كلامه أنّ إدراك الإعجاز يختلف باختلاف أذهان النّاس (المتلقين) حيث أرجع سبب الاختلاف في إدراك الإعجاز إلى فصاحته وبلاغته، قال أبو حيان: "اختلفوا فيما به إعجاز القرآن: فمن توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها، وتوقل في معارف الآداب وقوانينها، أدرك بالوجدان أنّ القرآن أتى في غاية من الفصاحة لا يوصل

(1)- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج1، ص: 110، 111.

إليها، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر، ولا داخلة تحت القدر.

ومن لم يدرك هذا المدرك، ولا سلك هذا المسلك رأى أنّه من نمط كلام العرب، وأنّ مثله مقدور لمنشئ الخطب فإعجازه عنده إنّما هو بصرف الله تعالى إياهم من معارضته ومناضلته، وإن كانوا قادرين على مماثلته.

وحكى لنا أستاذنا العلامة أبو جعفر رحمه الله تعالى عن بعض من كان له معرفة بالعلوم القديمة، ومعرفة بكثير من العلوم الإسلامية، أنّه كان يقول له: يا أبا جعفر، لا أدرك فرقا بين القرآن وبين غيره من الكلام.

فهذا الرجل وأمثاله من علماء المسلمين يكون من الطائفة الذين يقولون بأنّ الإعجاز وقع بالصرفة"[1].

وبالتالي، فإنّ الإعجاز له وقع وتأثير على المتلقين، تختلف درجته بمدى استجابته لتأثيره بين الإدراك بالوجدان أنّه في غاية الفصاحة والبلاغة وبين القول بالصرفة بأنّه نمط من كلام العرب، قال أبو حيان: "والقائلون بأنّ الإعجاز وقع بالصرف، هم من نقصان الفطرة الإنسانية في رتبة بعض النساء حين رأت زوجها يطؤ جارية فعاتبته، فأخبر أنه ما وطئها، فقالت له: إن كنت صادقا فاقرأ شيئا من القرآن، فأنشدها بيت شعر قاله، ذكر الله فيه ورسوله وكتابه، فصدقته، فلم ترزق من الرزق ما تفرق به بين كلام الخلق وكلام الحق"[2].

ب- المتلقي بين مقصدية النّص والتأويل: يعرف النّص القرآني بأنّه: "كلام الله المنزل على سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته"[3]، أو "كلام الله المنزل باللّفظ العربي المنقول إلينا بالتواتر المكتوب بالمصاحف، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس"[4]، أو باختصار فهو "كلام منزل معجز، معجز بنفسه، متعبد بتلاوته"[5]. فهذه التعاريف تتضمن ثلاث مكونات جوهرية

(1)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج1، ص: 109، 110.

(2)-م.س، ج1، ص: 110.

(3)- القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن. ص: 20.

(4)- الرحيلي، محمد. تعريف عام بالعلوم الشرعية. دار الكوثر، الجزائر، ص: 16.

(5)- السعداني، مصطفى. المدخل إلى بلاغة النص. منشأة المعارف،الاسكندرية،مصر،1994م.ص: 08.

رئيسية هي: القصد، الخطاب، المقام.فالقصد هو "المعنى الذي يحمله الخطاب بين المرسل (الباث)، والمستقبل (المتلقي)"[1].

ومنه كانت المقصدية في الخطاب القرآني "ترتكز أساسا على إبراز الطرائق الموصلة للمعنى"[2] باعتباره "اسم الصورة الذهنية للموجودات الخارجية؛ لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القاصد"[3].

أمّا الخطاب، فنجده يرتد في العرف اللغوي إلى معنى "الخطب والاهتمام، وهذا المعنى يبسط ظلاله الدلالية على النسق اللغوي الذي يتشكل وفق الذات المتلقية"[4].

أما المقام فهو "الوقوف على وحدات الخطاب في مستواها التركيبي التداولي"[5]، أي حسب مقتضيات الأحوال أو بتعبير الأصوليين "معرفة معنى السبب هو معرفة معنى مقتضى الحال"[6].

ويبدو أنّ النص استمد قيمته، وتأثيره الجمالي في المتلقي من تظافر هذه المكونات الثلاثة التي يظهر تعالقها حسب المخطط التالي[7]

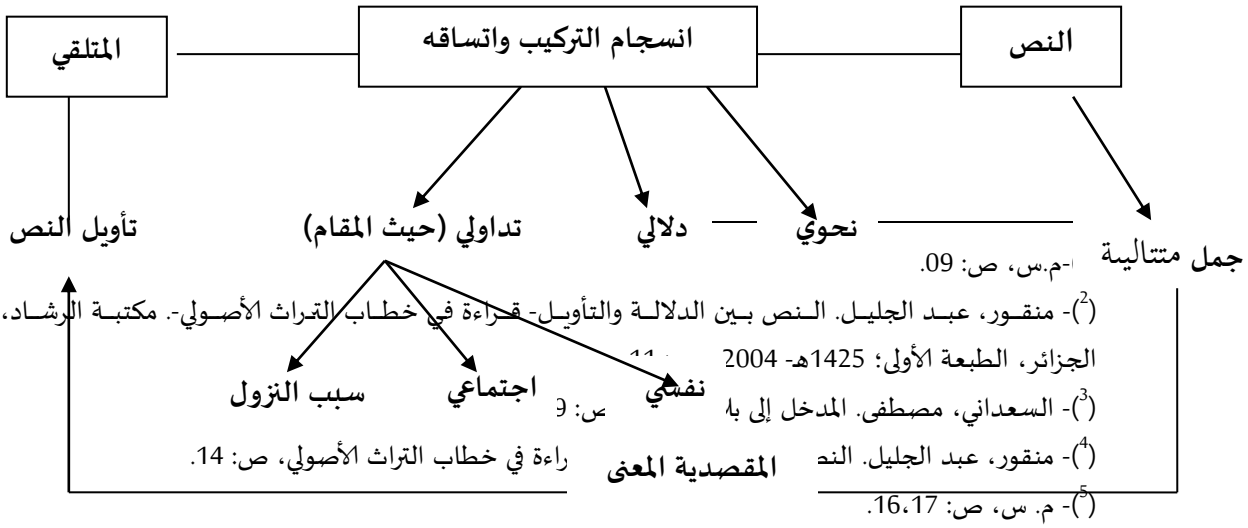

(1)- م.س، ص: 09.

(2)- منقور، عبد الجليل. النص بين الدلالة والتأويل- قراءة في خطاب التراث الأصولي- مكتبة الرشاد، الجزائر، الطبعة الأولى؛ 1425هـ- 2004

(3)- السعداني، مصطفى. المدخل إلى با ص: 9

(4)- منقور، عبد الجليل. النص راءة في خطاب التراث الأصولي، ص: 14.

(5)- م. س، ص: 16،17.

(6)- الشاطبي، أبو اسحاق. الموافقات. تعليق: حسين مخلوف، دار الفكر، ج3، ص: 225.

(7)- منقور، عبد الجليل. النص بين الدلالة والتأويل، قراءة في خطاب التراث الأصولي، ص: 14.

ومن آيات اهتمام أبي حيان، بالمقصدية "قصد المتكلم منشئ الخطاب وقصد السامع المتلقي للخطاب، قصد المتكلم إيراد الكلام على نحو مخصوص لإفادة معان ودلالات مقصودة عند المتكلم"[1]، ما نجده عند تفسير قوله تعالى : "**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ...وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**"(سورة العنكبوت،الآية:41-43)، قال: "وكان جهلة قريش يقولون إنّ ربّ محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، وما علموا أنّ الأمثال والتشبيهات طرق إلى المعاني المحتجبة، فتبرزها وتصورها للفهم، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد، والإشارة بقوله: "تلك الأمثال إلى هذا المثل، وما تقدم من الأمثال في السور"[2].

وكذلك ذكره في تفسيره لقوله تعالى: "**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**"(سورة البقرة،الآية:17)، قال: "والمقصود بذكر المثل أنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه لأن الغرض من ضرب المثل: تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد في تأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا للعقل"[3].

وعليه، فالأمثال لها مقاصد تكشف لها المعاني المحتجبة، وتبرزها للفهم، وتؤثر في المتلقي الذي يحاول فتح مغاليقها التي تستدعي منه إعمال ذهنه، وحملها على دلالات متعددة.

وقد اجتهد أبو حيان في إبراز معاني -مقاصد- الآيات وتوضيحها للمتلقي من خلال استثمار علمي القراءات والنحو. فهو يقلبها من مختلف الأوجه القرائية ويعالج ما يطرأ عليها من تغييرات دلالية وتركيبية، ومن ذلك تفسير قوله تعالى: "**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**"(سورة البقرة،الآية:165)،ينظر أبو حيان إلى الآية من ثلاثة أوجه:

([1])- مقبول، إدريس. الأفق التداولي- نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية-. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى؛ 1432 هـ- 2011م، ص: 28.

([2])- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط.ج7،ص:149.

([3])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج1،ص:207.

أولهما: "من قرأ باليـاء من أسفل [أي يرى]، وكَسْرِ الهمزتين [إنّ]، فيحتمل أن تكون معمولة لقول محذوف ،هو جواب لو أي :إن القوة"[1]

على هذا التخريج، يستحضر المتلقي العديد من الجمل التي تناسب المعنى العام للآية: لو يرى الذين ظلموا حالهم إذ يرون العذاب إنّ القوة لله جميعا.

لو يرى الذين ظلموا يوم القيامة إذ يرون العذاب لقالوا إنّ القوة لله جميعا.

لو يرى الذين ظلموا حالة العذاب إذ يرون العذاب لقالوا إنّ القوة لله جميعا

"أو على سبيل الاستئناف والجواب محذوف أي لاستعظموا ذلك"[2] فيصبح مدلول الآية: لو يرى الذين ظلموا حالهم إذ يرون العذاب لاستعظموا ذلك إنّ القوة لله جميعا.

لو يرى الذين ظلموا حالة العذاب إذ يرون العذاب لاستعظموا ذلك إنّ القوة لله جميعا.

لو يرى الذين ظلموا يوم القيامة إذ يرون العذاب لاستعظموا ذلك إنّ القوة لله جميعا.

وبين الاحتمالين فرق، يوضحه تقدير الضمير المستتر في الفعل يرى يعود على السامع، فيُصبح مدلول الآية:

ولو يرى السامع الذين ظلموا إذ يرون العذاب لقال إنّ القوة لله جميعا.

ولو يرى السامع الذين ظلموا إذ يرون العذاب لاستعظم ذلك إنّ القوة لله جميعا.

قال: "وعلى قراءة (ولو يرى) للغائب، فإن كان فيه ضمير السامع كان التقدير لاستعظم ذلك، وإن كان الذين ظلموا هو الفاعل كان التقدير لاستعظموا ما حل بهم"[3].ويبدو من تحليليه ،أنّه إذا كان الفاعل هو السامع فإنه يقتضي الذين ظلموا مفعولا به، أمّا إذا كان الفاعل الذين ظلموا فإنّ المفعول به محذوف.

الثاني: قال: "التقدير على قراءة من قرأ بالتاء من فوق [ترى]: لعلمت أيّها السامع أنّ القوة لله جميعا.

أو لعلمت يا محمد إن كان المخاطب في ولو ترى له، وقد كان –صلى الله عليه وسلم- علم ذلك ولكن خوطب، والمراد أمته فإنّ فيهم من يحتاج لتقوية علمه بمشاهدة مثل هذا"[4]، وكلامه يدل على أنّ الخطاب إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم- (المتلقي

(1)- م. س، ج1، ص: 645.

(2)- م. س، ج1، ص: 645.

(3)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج1، ص: 645.

(4)- م. س، ج1، ص: 645.

الأول)، والقصد منه أمته (المتلقين لرسالته). حيث إنّه جعل جواب لو مقدر في آخر الكلام..."وأمّا من قرأ بالتاء فتكون (أنّ) مفعولا من أجله أي: لأنّ القوة لله جميعا"[1]. فتصبح مدلول الآية:

- لو ترى أيها السامع الذين ظلموا عذابهم لأنّ القوة لله جميعا ولأنّ الله شديد العذاب لعلمت ذلك.

- لو ترى يا محمد الذين ظلموا عذابهم لأنّ القوة لله جميعا ولأنّ الله شديد العذاب لعلمت ذلك.

- لو ترى أيّها السامع الذين ظلموا عذابهم لأنّ القوة لله جميعا ولأنّ الله شديد العذاب لاستعظمت ذلك.

- لو ترى يا محمد الذين ظلموا عذابهم لأن القوة لله جميعا ولأنّ الله شديد العذاب لاستعظمت ذلك.

الثالث: "ومن قرأ بالكسر قدر الجواب لقلت إنّ القوة على اختلاف القولين في المخاطب بقوله (ولو ترى) من هو أهو السامع أم النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو يكون التقدير لاستعظمت حالهم، وإن القوة وإن كانت مكسورة فيها معنى التعليل مثل لو قدمت على زيد لأحسن إليك، إنّه مكرم للضيفان، وقال ابن عطية: تقدير ذلك ولو ترى الذين ظلموا في رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لأقروا أنّ القوة لله، فالجواب مضمر على هذا النحو من المعنى، وهو العامل في إنّ انتهى، وفيه مناقشة، وهو قوله: في حال رؤيتهم العذاب، وكان ينبغي أن يقدر بمرادف إذ وهو قوله: في وقت رؤيتهم العذاب، وأيضا فقد قدر جواب (لو) وهو غير مترتب على ما يلي (لو) لأنّ رؤية السامع أو النبي –صلى الله عليه وسلم- الظالمين في وقت رؤيتهم لا يترتب عليها إقرارهم أنّ القوة لله جميعا... وتقديره على قراءة و(لو ترى) بالخطاب لاستعظمت ما حل بهم"[2].

ويكون مدلول الآية: يا محمد لو ترى الذين ظلموا وقت العذاب لاستعظمت ما حل بهم لأنّ القوة لله جميعا ولأن الله شديد العذاب.

أيّها السامع لو ترى الذين ظلموا وقت العذاب لاستعظمت ما حل بهم لأن القوة لله جميعا ولأنّ الله شديد العذاب.

([1])- م. س، ج1، ص: 645.

([2])-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج1، ص: 645.

لقد أظهر التحليل اللغوي للآية الكريمة، أنّ أبا حيان حدّد جملة من الافتراضات والاحتمالات التي تدفع بالمتلقي أن يتخيلها، بحيث إنّه ربطها بمقصدية الآية ومدلولها العام "لو ترى الذين ظلموا يوم القيامة إذ يرون العذاب حين تخرج إليهم جهنم من مسيرة خمسمائة عام تلتقطهم كما يلتقط الحمام الحبة لعلموا أنّ القوة لله جميعا"[1]. والذي يُظهِر فيه شكل الجزاء الذي سيلقاه الذين ظلموا.

ومن مظاهر تحقق المقصد العام ذكر القصص لاعتبار المتلقي، قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ**"(سورة البقرة،الآية:243)،"مناسبة هذه الآية لما قبلها أنّه تعالى متى ذكر شيئا من الأحكام التكليفية أعقب بشيء من القصص على سبيل الاعتبار للسامع، فيحمله ذلك على الانقياد وترك العناد وكان تعالى قد ذكر أشياء من أحكام الموتى ومن خلفوا فأعقب ذلك بذكر هذه القصة العجيبة، وكيف أمات هؤلاء الخارجين من ديارهم ثم أحياهم في الدنيا فكما كان قادرا على إحيائهم في الدنيا هو قادر على إحياء المتوفين في الاخرة، فيجازي كلا منهم بما عمل، ففي هذه القصة تنبيه على الميعاد ،وأنّه كائن لا محالة، فيليق بكل عاقل أن يعمل بمعاده بأنْ يُحافظ على عبادة ربه، وأنْ يُوفي حقوق عباده"[2].

ويتبين ممّا سبق، أنّ مقصدية النّص القرآني تخضع للمعنى الأصلي (المقصد الأصلي) وإلى تأويلات المتلقي والتي يحاول المفسّر أبو حيان كشفها من خلال تظافر المستويات الثلاثة:(النحوي، والدلالي، والتداولي).

ج- المتلقي والإعلامية بين رفع الغموض والتأويل:إنّ درجة إعلامية نص ما تحدد بمدى فاعلية المتلقي مع النص للوصول إلى المعنى الغامض باعتبار أنه "النصوص الغامضة إلى حد ما تعطي القارئ الفرصة ليكون إيجابيا ومتفاعلا مع النص، ومنتجا لدلالته، وليس مستهلكا له فحسب"[3].وعليه ،فإنّ المتلقي يسعى إلى رفع ذلك الغموض الذي يُبرز إعلامية نص ما بالبحث عن "عدم الترابط الواضح بين معاني النص (الحبك)" [4]، أي

(1)- م. س، ج1، ص: 646.
(2)- م. س،ج1، ص: 258.
(3)- نوفل،يسرى.المعايير النصية في السور القرآنية-دراسة تطبيقية مقارنة-.ص:251.
(4)- م. س، ص:252.

إثـارة العديـد مـن التـأويلات والاحتمـالات الدلاليـة التي تشـد انتباهـه إلى المعنى الغـامض وتُقربه إليه.وبالعودة إلى تفسير البحر المحيط، تظهر الإعلامية في النّص القرآني فيما يأتي:

ففـي قولـه تعـالى: "**وَمَـا تُنْفِقُـوا مِـنْ خَيْـرٍ فَـإِنَّ اللهَ بِـه عَلِـيمٌ**"(سـورة البقرة،الآيـة:273)، قـال أبـو حيـان: "**وَمَـا تُنْفِقُـوا مِـنْ خَيْـرٍ فَـإِنَّ اللهَ بِـه عَلِـيمٌ** "،تقـدم "**ومـا تنفقـوا مـن خيـر فلأنفسـكم**"(سـورة البقرة،الآيـة:272)، "**وَمَـا تُنْفِقُـوا مِـنْ خَيْـرٍ يُـوَفَّ إِلَـيْكُمْ**"(سـورة البقرة،الآيـة:272)،وليس سـبيل التكـرار والتأكيـد بـل كـل منهمـا مقيـد بغيـر قيـد الآخـر ،فـالأول:ذكر أن الخيـر الـذي يعملـه مـع غيـره إنّمـا هـو لنفسـه، وأنّـه عائـد إليـه جـزاؤه، والثـاني: ذكـر أنّ ذلـك الجـزاء الناشـئ عـن خيـر يوفـاه كـاملا مـن غيـره نقـص ولا بخـس، والثالـث: ذكـر أنّـه تعـالى عليم بمـا ينفقـه الإنسـان مـن خيـر ومقـداره، وكيفيـة جهاتـه المـؤثرة في ترتيـب الثـواب، فـأتى بالوصـف المطلـع على ذلـك وهـو العلـم"[1].فكشـف المتلقـي للفروقـات بين الآيات المتناصة من خلال تقدير الثواب. كان له الأثر في رفع درجة الإعلامية.

وفـي قولـه تعـالى: "**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آَمَنُـوا كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الصِّـيَامُ** "(سـورة البقرة،الآيـة:183)، قـال أبـو حيـان: "وكـان فيمـا قبـل ذلـك قـد ذكـر أركـان الإسـلام الثلاثـة: الإيمـان، والصـلاة، والزكـاة، فـأتى بهـذا الـركن الرابـع وهـو الصـوم، وبنـاء كتـب للمفعـول في هـذه المكتوبـات الثلاثـة، وحـذف الفاعـل للعلـم بـه إذ هـو الله تعـالى لأنّهـا مشـاق صـعبة على المكلـف فناسـب أن لا تنسـب إلى الله تعـالى، وإن كـان الله تعـالى هـو الـذي كتبهـا وحـين يكـون المكتـوب للمكلـف فيـه راحـة واستبشـار يبنى الفعـل للفاعـل كمـا قـال تعـالى: "**كَتَـبَ رَبُّكُـمْ عَلَى نَفْسِـهِ الرَّحْمَـةَ**"(سـورة الأنعام،الآيـة:54)،"**كَتَـبَ اللَّـهُ لَأَغْلِـبَنَّ أَنَـا وَرُسُـلِي**"(سـورة المجادلة،الآيـة:21)، ،"**أُولَئِـكَ كَتَـبَ فِي قُلُـوبِهِمُ الْإِيمَـانَ**"(سـورة المجادلة،الآيـة:22)، وهـذا مـن لطيـف علـم البيـان، أمـا بنـاء الفعـل للفاعـل في قولـه: "**وَكَتَبْنَـا عَلَـيْهِمْ فِيهَـا أَنَّ الـنَّفْسَ بِـالنَّفْسِ**"(سـورة المائدة،الآيـة:45)، فمناسـب لاستعصـاء اليهـود وكثـرة مخـالفتهم لأنبيـائهم بخـلاف هـذه الأمـة المحمديـة، ففـرق بـين الخطـابين لافتـراق المخـاطبين، ونـادى المـؤمنين عنـد إعلامهـم بهـذا المكتـوب الثالـث الـذي هـو الصـيام لينبههم على اسـتماع مـا يلقى إليهم مـن هـذا التكليـف"[2]. فـالمتلقي أبوحيـان- يثيـره بنـاء الفعـل "كتـب" للمجهـول في هـذه الآيـة ،وبنـاؤه للفعـل المعلـوم في مواضـع أخـرى ،يجعلـه يبحـث عـن الاختلافـات الدلاليـة بينهمـا باستحضـار

(1)- الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج2،ص:344.

(2)-الأندلسي، أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي أثير الدين. تفسير البحر المحيط. ج2، ص: 35.

آيات مماثلة وبيان الفرق بينهما.فهذه الإثارة هي التي دفعته إلى إعمال ذهنه للوصول إلى الهدف من وراء استخدام الفعل المبني للمجهول وفي هذا رفع لدرجة الإعلامية.

وفي قوله تعالى: "**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**"(سورة الأعراف،الآية:32)، قال أبو حيان: "ومعنى الاستفهام: إنكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرميها، وقد كانوا يحرمون أشياء من لحوم الطيبات وألبانها، والاستفهام إذا تضمن الإنكار لا جواب له"[1].

ومنه، ما يؤديه أسلوب الالتفات من معاني تحمل المتلقي على الانتباه والتفكير، كما في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**"(سورة النساء،الآية:47)، قال أبو حيان: "... فأتى بضمير الغيبة لأن الخطاب حين كان الوعيد بطمس الوجوه وباللّعنة، ليس لهم ليبقى التأنيس والهم والاستدعاء إلى الإيمان غير مشوب بمفاجأة الخطاب الذي يوحش السامع ويروع القلب، ويصير أدعى إلى عدم القبول، وهذا من جليل المخاطبة وبديع المجاورة"[2]،فالخروج عن المألوف يستدعي من المتلقي إعمال ذهنه ويحمله على التفكير في المعنى الجديد.

وبهذا، فإن معيار الإعلامية يدعو المتلقي إلى إمعان فكره وإجهاد ذهنه للوصول إلى المعنى المسكوت عنه.

خاتمة:

إنّ العلاقة بين النص والسياق تبرز في فهم المتلقي –أبو حيان- لمعاني النص القرآني وبيان مظاهر الترابط فيما بينها من منطلق أنّ النّص القرآني "منه محكم العبارة قد صينت عن الاحتمال، ومنه متشابه ما احتمل وعجز الذهن عن التمييز بينهما"[3].وعلى هذا الأساس، فإنّ بحثه عن الآليات التي حققت الانسجام الدلالي أو التداولي إمّا من داخل النص، والتي تتحدد في السبك والحبك والعلاقة التناصية بين آياته، وإمّا من خارج النّص بالاستعانة بأسباب النزول والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتي يعبّر عنها النصيون بمعيار الموقفية، و بمدى فاعلية المتلقي مع النّص، والتي عبّر عنها النّصيون بالمقصدية والقبولية والإعلامية.

([1])- م. س، ج4، ص: 293.

([2])- م. س، ج3، ص: 279.

([3])- م.س،ج2،ص:396.